

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[348] وأموالهم وكلّ ما يتعلّق بهم فأفناها جميعاً. وقد بحثنا موضوع "السير في الأرض" - والذي يؤكّد عليه القرآن المجيد مراراً كبرنامج توعية مؤثر - بصورة مفصّلة في ذيل الآية (137) من سورة آل عمران، والآية (45) من سورة الروم. وتناولت آخر آية - من الآيات مورد البحث - سبب حماية المنزلة المطلقة للمؤمنين ودفاعه عنهم، وإهلاكه الكافرين الطغاة، فتقول: (ذلك بأنّ المنزلة مولى الذين آمنوا وأنّ الكافرين لا مولى لهم)(1). "المولى" بمعنى الولي والناصر، وبذلك فإنّ المنزلة سبحانه قد تولّى أمر المؤمنين ونصرتهم، أمّا الكافرون فقد أخرجهم من ظل ولايته، ومن الواضح أنّ الله تعالى يعين أولئك المستظّلين بظل ولايته، ويدفع عنهم النوائب، ويزيل عن طريقهم العراقيل، ويثبّت أقدامهم، وأخيراً فإنّهم ينالون مرادهم بنصرة المنزلة ومعاونته. أمّا أولئك الخارجون عن ولايته فإنّ أعمالهم ستحبط، وتكون عاقبتهم الهلاك. وهنا يأتي سؤال، وهو: إنّ الآية مورد البحث قد ذكرت أنّ المنزلة سبحانه مولى المؤمنين فقط، في حين أنّ الله سبحانه وصف في بعض آيات القرآن الأخرى بأنّ الله مولى الجميع حتى الكافرين، كما في الآية (30) من سورة سورة يونس حيث تقول: (وردّوا إلى المنزلة مولاكم الحقّ وضلّ عنهم ما كانوا يفترون). وتتّضح الإجابة على هذا السؤال بملاحظة نكتة واحدة، وهي: إنّ ولاية المنزلة العامّة - وهي كونها خالقاً مدبّراً - تعم الجميع، أمّا الولاية الخاصّة، وعنايته الخاصّة المقترنة بأنواع الحماية والنصرة، فإنّها لا تشمل إلاّ المؤمنين(2). وقال البعض: إنّ هذه الآية أرجى آية في القرآن، لأنّها أدخلت كلّ المؤمنين،

1 - المشار إليه بـ(ذلك) هي عاقبة المؤمنين الحسنة، وعاقبة الكافرين المشؤومة، واللّتان أشير إليهما في الآيات السابقة. 2 - فسّر البعض - كالآلوسي في روح المعاني - "المولى" في الآية مورد البحث بالناصر، وفي آية سورة يونس وأمثالها. بالمالك